انطاكيا منطلق الرسالة

بيبليا تشرين الثاني ٢٠٠٢-١١-٢٠

الأخت باسمة الخوري الأنطونية

أهميّة جماعة انطاكيا ومعناها بالنسبة للمسيحية

يعطي كتاب أعمال الرسل صورة عامة للحركة الرسولية تنطلق من أورشليم الى روما مع التوقف عند محطة مهمّة وأساسية هي انطاكيا حيث أخذ تلاميذ يسوع إسم مسيحيين للمرة الأولى، وحيث تركزت المشكلة المتأتّية من التوجّه الى الوثنيين والتي ادّت، بحسب بولس، الى مجمع أورشليم وانفتاح الكنيسة بشكل نهائي على الأمم.

كانت انطاكيا في بدايات المسيحية المدينة الثالثة من حيث الأهمية في الامبراطورية الرومانية بعد روما والاسكندرية. وكانت الجماعة اليهودية فيها مزدهرة ومنفتحة ومسالمة، وقد قبلت، بحسب فلافيوس جوزف، العديد من الوثنيين كدخلاء غير مختونين (حرب اليهود ٧: ٤٥)[١].

انطاكيا المسيحية

ظهرت انطاكيا للمرة الأولى في التاريخ المسيحي من خلال نيقولاوس الانطاكي الدخيل وهو الأخير في لائحة السبعة الذين شكّلوا فريقاً حول اسطفانوس (أع ٦: ٥) مما يشير الى وجود جماعة يهودية كبيرة في انطاكيا على علاقة جيّدة بأورشليم، فلا عجب إذاً أن يكون المسيحيون الهلينيون من أصل يهودي قد أسسوا جماعة مسيحية صغيرة في انطاكيا إثر موت اسطفانوس (أع ١١: ١٩). تحوّلت هذه الجماعة طيلة السنوات العشرين الأوائل، الى الكنيسة الأهم، الى جانب أورشليم، بالنسبة الى المسيحية الناشئة.

ترتبط نشأة هذه الجماعة بإسم برنابا، ويأتي اسمه في طليعة لائحة الخمسة الذين يعتبرهم كتاب أعمال الرسل أنبياء وعلماء (١٣: ١) والذين تقع على عاتقهم مسؤولية قيادة الجماعة الى جانب مجمع الرسل (غلا ٢: ١). أتى برنابا[٢] ببولس الى انطاكيا (١١: ٢٥) فساهم بشكل جذري بانفتاح الجماعة نحو الوثنيين وبتحررها من أحكام الشريعة.

---

[١] تغيّرت الامور أمام المشكلة التي أثارها قرار نصب تمثال كاليغولا في وسط هيكل أورشليم في شتاء ٣٩-٤٠ (أع ١١: ٢٦)، ثم إثر البعثات التبشيرية بيسوع المسيح.

[٢] يضع لوقا برنابا بعلاقة وثيقة مع انطاكيا فنراه يعمل بتأثير من الروح القدس ويجذب الجماعات (أع ١١: ٢٤). قبرسي الأصل سمّى الرسل هذا اللاوي برنابا (أع ٤ :٣٦). عاش في أورشليم حيث باع أرضه بعد التزامه المسيحية وأعطى ثمنها للرسل (أع ٤: ٣٧). يعود

دخلت انطاكيا تاريخ الكنيسة لأنها الجماعة التي انفصلت عن المجمع اليهودي لتشكّل جماعة متحررة من الشريعة ومؤسّسة على المسيح وحده، بمعنى أنها تخلّت عن المفهوم الذي كان يعتبر المسيحيين فريقاً يهودياً، والذي كان سائداً دون منازع في ذلك الوقت. فهمت جماعة انطاكيا بأن المسيحية ظاهرة جديدة لا يمكن أن تحدَّد إلا بذاتها، وبأن الشريعة ليست شرطاً مسبقاً للعماد أي للخلاص كما تفهمه الكنيسة. وعليه فقد التزمت بتحمّل مسؤولية حمل البشارة للأمم على أساس الايمان والعماد باسم المسيح وحده. ختمت جماعة انطاكيا بشكل نهائي تاريخ الكنيسة من حيث قيامها بالخطوة الأولى التي نقلت الكنيسة من بدعة يهودية الى "ديانة عالمية". فإذا بشعارات "الحرية بالمسيح" و "حقيقة البشارة" (غلا ٢:٤ و٢:٥و١٤) تنفي قيمة الشريعة الخلاصية؛ وساهم قرار منح العماد، دون فرض الختانة كشرط مسبق، ليؤكّد بأن المعمَّد قد نال الروح الخالق الموعود للأزمنة الأخيرة، وانه انتمى بالمسيح الى جماعة نهاية الأزمنة، بغضّ النظر عن انتمائه الماضي.

انطاكيا وتوجّهها الرسولي

نحن لا نملك تاريخاً علمياً مكتوباً عن بداية الرسالة الانطاكية، لكن يمكننا فهم بعض ما حدث من خلال المعلومات المحدودة التي يعطيها لوقا في أع ١١: ١٩-٢٦.

يشير كتاب أعمال الرسل الى الاضطهاد الذي عاناه تلاميذ يسوع في أورشليم والى تشتتهم في مناطق عدّة (من السامرة الى أنطاكيا)، ويضع في الإطار عينه حدث إستشهاد اسطفانوس في اورشليم وما قام به فيلبس في السامرة وتوجّه بعض المشتتين الى اليهود والبعض الآخر الى اليونانيين في انطاكيا. لكن الغريب أن هؤلاء المشتتين لا يتصرّفون كمهجّرين غرباء وخائفين في أرض جديدة، بل كمسؤولين عن حمل البشارة الى الجميع.

يخبر لوقا أن المشتتين بدأوا في انطاكيا بإعلان البشرى لليهود أولاً (أع ١١: ١٩)، مما يؤكّد انهم أخذوا وقتاً كافياً للتفكير والتحضير قبل إعلان الكلمة للوثنيين[٣]. بعد استشهاد اسطفانوس أصبحت الرسالة إذاً ملازمة للمسيحية، فقد جعل الانطاكيون، الذين يدينون بإيمانهم لهذه الرسالة، من إعلان هذه البشرى أولى اهتماماتهم، فكان أن انتدبوا برنابا وبولس لحمل الرسالة[٤]، وبما ان انطاكيا

اليه تقديم بولس للرسل (أع ٩: ٢٧)، ولم يكن من بين المشتتين بعد استشهاد اسطفانوس. أمّا بولس فيقدّم برنابا كمرسل من قبل "كنيسة أورشليم" لجماعة انطاكيا. للمرة الأولى تأخذ جماعة ما إسم "كنيسة" خارج أورشليم (أع ١١: ٢٦). أرسل برنابا الى انطاكيا، وهو من خارج الإثني عشر، كما أُرسل بطرس ويوحنا الى السامرة (أع ٨: ١٤) فأخذ بذاته مبادرة البشارة وأتى ببولس ليشاركه عمل البشارة للوثنيين (أع ١١: ٢٥- ٢٦).

[٣] إن كان هؤلاء المبشرين قد وصلوا انطاكيا منذ سنة ٣٥-٦٣، فإن بشارة الوثنيين تكون قد بدأت بعد بضع سنوات (أع١١: ٢١).

[٤] تشكّل الفترة التي قضاها بولس في انطاكيا الوقت الأطول في حياته المسيحية والرسولية. لا تعود أيٌ من رسائل بولس الى هذه الحقبة، لكن الرسول يشير الى بعض المعطيات حول الفترة الانطاكية. فمن جهة، نجد أحداث مجمع الرسل وزيارة بطرس الى انطاكيا في غلا ٢:

كانت مركزاً محورياً للإدارة والتجارة والعلاقات لكامل مقاطعة سوريا الرومانية، انطلق الاثنان الى قبرس ثم الى برجة وانطاكية بسيدية وأيقونية ولسترة ودربة قبل أن يعودا الى انطاكيا (أع ١٣)، وكان ان تسبب اتساع الرسالة نحو الوثنيين وتأسيس الجماعات المسيحية الوثنية انطلاقاً من انطاكيا بالمشاكل مع المسيحيين اليهود ومع أورشليم المركز الأم. فبرز في انطاكيا السؤال الأبرز الذي سيشغل المسيحية الأولى بشكل أساسي: هل يمكن للمسيحية أن ترتكز على الإيمان بالمسيح فقط بغض النظر عن الشريعة ودون العودة الى المجمع اليهودي، وهل هذه الجماعات الجديدة هي على مستوى عينه مع الجماعات الأولى؟ وقد قررت جماعة انطاكيا بلورة هذا الموضوع ودعم وجهة النظر الانطاكية مع جماعة اورشليم في مقابل الاخوة "الكذابين" (غلا ٢: ٤) الذين أرادوا إعادة الانطاكيين الى "العبودية" (أي العودة الى أحكام الشريعة) بعد أن عرفوا "الحرية بيسوع المسيح".

شكّل دخول تلاميذ يسوع الى العالم الوثني تطوّراً غير منتظر وحدثاً مهماً جداً أسفرت عنه سلسلة من المشاكل لأن الجماعة الأولى كانت جماعة محافظة في قلب المجتمع اليهودي. فانفتاح المسيحية على العالم الوثني (أع ١٣: ٤٦-٤٩؛ ١٤: ١-٧و٨-٢٠و٢٧) والخلاف بين التلاميذ الأوائل حول ضرورة فرض الشريعةعلى المؤمنين الجدد، أو عدم وجوب ذلك؛ ثم الاعتراف بالجماعات المسيحية من أصل وثني نتيجة لمجمع أورشليم، تكشف لنا الأهمية الكبرى والأساسية التي لعبتها أنطاكيا في توجيه الكنيسة نحو الأمم.

من أنطاكيا الى العالم

من إنطاكيا تخطّى الايمان المسيحي حدود العالم الروماني فظهرت الكنائس في كل الممالك الشرقية، فامتدّت من شرق الفرات وقطعت بلاد الفرس وصولاً الى الصين برّاً، وحتى الهند عبر بلاد العرب بحراً[٥].

أسئلة كثيرة لا تزال عالقة حول انتشار المسيحية في بداياتها، لكن الواضح أن الكنيسة الأولى وجدت في أنطاكيا نقطة أنطلاق جديدة تتمثّل بالتفلّت من قيود اليهودية وللإنفتاح على العالم أجمع.

١-٢١، وخبرة الانخطاف التي عاشها في السماء الثالثة في ٢كور ١٢: ١-٥، وقسم من الاضطهادات التي عانى منها في ٢ كور ١١: ٢٣-٣٣. ومن جهة ثانية، نجد في رسائله بعض الاشارات حول مواقف بولس ومواقف جماعة انطاكيا اللاهوتية. نضيف الى هذه المعلومات ما نجده في كتاب الأعمال الذي يخبرنا أن برنابا أتى ببولس الى انطاكيا (١١: ٢٥-٢٦) وانه في انطاكيا "سمّي التلاميذ أول مرة مسيحيين" (١١: ٢٦)، وان اغابس النبي نزل الى انطاكيا (١١: ٢٧) وأن بولس وبرنابا قاما بعمل رسولي انطلاقاً من انطاكيا (الرحلة الرسولية الاولى أع ١٣ت) ثم يخبرنا عن مجمع الرسل (أع ١٥: ١-٣٥)، ثم عن الخلاف بين برنابا وبولس بشأن يوحنا مرقس مما أدّى الى انفصالهما (أع ١٥: ٣٦ت).

[5] Cf. "D'Antioche à Pékin et l'Asie" *Le monde de la Bible* n. 119, Mai-Juin 1999.

في أنطاكيا انفتح المسيحيون على روح العنصرة، فكانت لهم الجرأة لبدء مسيرة جديدة لا تقف عند حدود الجنس والعرق والدين، ومن انطاكيا وصلت بشرى الحياة والخلاص للعالم أجمع.